

البداية والنهاية

واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ثم نظر في المرأة فأعجب حسنها وشمر عن ذراعيه وقال أنا الخليفة الشاب وقيل أنه كان ينظر في المرأة من فرقه إلى قدمه ويقول أنا الملك الشاب وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول كان محمد نبيا وكان أبو بكر صديق وكان عمر فاروقا وكان عثمان حبيبا وكان علي سجاعا وكان معاوية حلبيما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وأنا الملك الشاب قالوا فما حال عليه بعد ذلك شهر وفي رواية جمعة حتى مات قالوا ولما حم شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنسدته ... أنت نعم المتع لو كنت تبقى ... * غير أن لا بقاء للإنسان ... أنت خلو من العيوب ومما ... * يكره الناس غير أنك فان

قالوا فصاح بها وقال عزتني في نفسي ثم أمر خاله الوليد بن العباس القعقاع العنسي أن يصب عليه وقال ... قرت وضوئك با وليد فإنما ... * دنياك هذى بلغة ومتاع ... فاعمل لنفسك في حياتك صالحًا ... * فالدهر فيه فرقة وجماع

ويروى أن الجارية لما جاءته بالطست جعلت تضطرب من الحمى فقال أين فلانة فقالت محمومة قال فلانة قالت محمومة وكان بمصر داير من أرض قنسرن فأمر خاله فوضاه ثم خرج يصلى بالناس فأخذته بحة في الخطبة ثم نزل وقد أصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة ويقال إنه أصابه ذات الجانب فمات بها ٢ .

وكان قد أقسم أنه لا يبح بمصر داير حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية أو يموت قبل ذلك فمات قبل ذلك ٢ وأكرم مثواه قالوا وجعل يلهم في مرضه ويقول ... إن بني صغار ... * أفلح من كان له كبار

فيقول له عمر بن عبد العزيز قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ثم يقول ... إن بني صبية صيفيون ... * قد أفلح من كان له رباعيون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به وال الصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال أسلوك منقلبا كريما ثم قضى وروى ابن جرير عن رجاء بن حية وكان وزير صدق لبني أمية قال استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولى له ابنا صغيرا لم يبلغ الحلم فقلت إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ثم شاورني في ولاية ابنه داود فقلت إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدرى أحي هو أو ميت فقال من ترى فقلت رأيك يا أمير المؤمنين